الأضداد في اللغة

محمد حسين آل ياسين

مدرس مساعد في قسم اللغة العربية في كلية الآداب
بجامعة بغداد

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب

- الطبعة الاولى
- ١٩٧٤م ـ ١٣٩٤هـ

- حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

- مطبعة المعارف ـ بغداد

هذا الكتاب رسالة جامعية قُدّمت لنيل درجة ماجستير آداب في اللغة العربية ؛ وقد ناقشتها مناقشة علنية صباح يوم ١٩٧٣/٦/٢١ م لجنة مؤلفة برئاسة الدكتور ابراهيم السامرائي (المشرف) ، وعضوية الدكتور مهدي المخزومي ، والاستاذ كمال ابراهيم . وقد منحت بعدها الدرجة العلمية بتقدير (امتياز) في حقل فقه اللغة .

الإهداء

- الى استاذي الكبير الدكتور ابراهيم السامرائي الذي وجدت في اشرافه على اعداد هذه الرسالة كل ما كنت أرجوه من رعاية وتسديد وعلم وتوجيه .
- والى استاذي العلامة الدكتور مهدي المخزومي الذي كان لي من شرف مناقشته للرسالة وما أشار به عليّ في أثنائها ما يضع قدمي على عتبة الدرب المنور الطويل .
- والى استاذي الباحث كمال ابراهيم الذي يحلو لي – كما حلا لغيري – ان اسميه (الشهيد الجامعي) لانه فارق الحياة ملتحقاً بربّه وهو يتمتم بتقدير الدرجة لهذه الرسالة .

محمد حسين آل ياسين

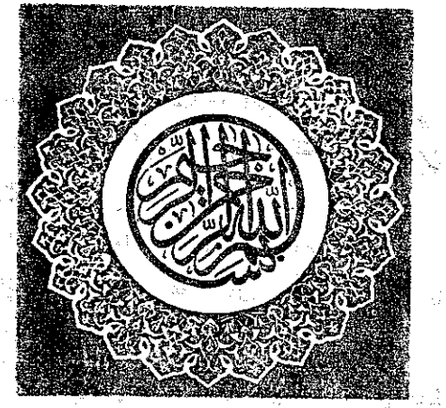

المقدمة

كنت قد قدمت بحثا في السنة التحضيرية من دراسة الماجستير عن (الفعل في القرآن الكريم) ، أدرس فيه استعمالاته الخاصة وصيغه المختلفة وطريقة استخدامه في الجملة وازمنته المتغيرة ، في لغة الكتاب المقدس . فأوقفتني هذه الدراسة – في جملة ما أوقفتني عليه – على أختلاف القدماء في معاني طائفة من أفعال القرآن ، وتباين آرائهم في تحديد مؤداها في مصدر التشريع الأول ، حتى انهم لمسوا في هذه الأفعال شيئاً من التضاد في انصرافها الى معانيها ، فشوقني ذلك الى زيادة الاطلاع على ما عند القدماء من بحوث تتصل بدراسة هذه الناحية من دلالة الألفاظ . فاذا بـ (الأضداد) ظاهرة لغوية أكثرَ من الوقوف عندها العلماء ، وصنفوا فيها كتبهم ووضعوا لجمع ألفاظها معجماتهم ، ولم يقصروا جهودهم على تلمّس صورها في القرآن وحده بل تعدوا ذلك الى الحديث والشعر والامثال ولغة التخاطب ، مدفوعين الى ذلك بدافعين : استظراف هذه الألفاظ من جهة ، وخدمة لغة القرآن من جهة اخرى .

فكان ذلك حافزا دفعني الى بحث ظاهرة الأضداد في اللغة ، بعد أن وجدت ان ما تركه لنا القدماء من آثارهم في دراستها يصلح أن يكون مادة أولية غنية لمثل ما أقدمت عليه . وعمّق هذا الحافز في نفسي ما أحسست به من رغبة قديمة في ولوج هذا الميدان من الدراسة اللغوية، والخوض فيه لكشف اسرار اللغة وغوامضها وفقه أساليبها ومخلفاتها التاريخية . ثم تبلورت هذه الرغبة في دراسة الأضداد ، عندما ألفيت ان

الحاجة الى مثلها لدى الدارسين والمعنيين بالعربية قائمة حتّى الآن بالرغم من تزايد مقالاتهم وتوالي بحوثهم المختصرة فيها • فهذا (فايل) مثلا يتكلم على الأضداد ويعرض لآراء المستشرقين ، مطلعا على أهم ما ألفه القدماء فيها وما فسروه منها ، ومع ذلك فهو يصرح بعدم كفاية كل ذلك في دراسة الأضداد ، ويسجل حاجة الدراسات العلمية الحديثة الى بحث جديد ، ويقول : « وان رسالة تجمع الأضداد وتتميز بالاستقلال في البحث ، مع العناية باللهجات المختلفة واللغات المتقاربة ، لتمدّنا بمعلومات هامة ، تعيننا في فهم تاريخ الحضارة : دائرة المعارف الاسلامية ٢/٢٩٥»•

★ ★ ★ ★

وحين توجهت الى الموضوع أرسم منهجه وأحدّد جوانبه ، وجدته بطبيعته منقسما الى بابين كبيرين : الأول للاضداد وهي فكرة ، والثاني للاضداد وهي آثار • ولمّا كنا في هذه الدراسة بصدد ظاهرة لغوية تتعلق بتاريخ العربية القديم ، وهي ايضا من طرائق نمو العربية وتوسعها ، كان لا بد من الوقوف على تاريخ العربية العام ، وتاريخ نقوشها المكتشفة ولهجاتها البائدة والمشكلات الناجمة عن انقطاع اسباب العربية المنقرضة بالعربية الحاضرة، والتعرض من خلال ذلك الى الوسائل التي توسلتها اللغة في نموها وتوسعها وزيادتها ، فكانت هذه هي مفردات التمهيد الذي مهدت به لدراسة الأضداد •

وجعلت الباب الاول على ثلاثة فصول ، خصصت الأول منها لبحث الدلالة في اللفظ والصوت ، والعوامل التي تساعد على تطورها وتغير مجالها • وعرضت لنماذج مختلفة من آثار القدماء وتواليفهم في دلالة اللفظ ، ذلك ان دراسة الأضداد دراسة دلالية قبل كل شيء ، فلا بدّ من الوقوف على حقيقة الدلالة في اللغة وقوفا شاملا ليتم الفهم الدقيق لفكرة الضدية ، ويسير البحث فيها على هدى هذا الفهم فكان الفصل

الثاني مبنيا على هذه الصلة ، اذ توسعت فيه لبيان تحديدات القدماء لفكرة التضاد وتقسيماتهم لألفاظ اللغة ، وفهمهم للرابطة التي تربط الاشتراك بالتضاد ، والاختلاف القائم من هذه الناحية بين اللغويين أنفسهم من جهة ، وبينهم وبين المناطقة والمتكلمين من جهة اخرى ، مسجلا خلال ذلك رأيي الخاص فيما أعرض له من أفكار ، ثم تكلمت على ظروف نشأة الأضداد بشيء من التفصيل في العرض والافاضة بالأمثلة ، للوصول الى الحقيقة التي تمسكت بها والتي تقضي بعدم اصالة الضدية في هذه الألفاظ • على ان القدماء كانت لهم مواقف متباينة من الأضداد ، فجردت الفصل الثالث لعرض مواقفهم منها وبيان مناهجهم في درسها ، وتكلمت على أدلة المدافعين عن الأضداد وأدلة المنكرين ، جاعلا كل جماعة منهما طوائف عدة ناظرا في ذلك الى اختلاف المنهج وتغير الأدلة وخلوص النية • ثم عرجت على المحدثين من المستشرقين والعرب أعرض لآرائهم وتوصلاتهم في بحوثهم عن الاضداد ، وذلك لاكسب البحث صفة الأمانة والوفاء لمن سبق الى دراسة شيء يتصل بأحد جوانب الرسالة •

أما الباب الثاني فقد جعلته على ثلاثة فصول كالباب الاول ، تكلمت في الفصل الاول على تدوين اللغة وتاريخه ومكان تدوين الاضداد منه ، وقدمت مسردا بأسماء مؤلفي كتب الاضداد الذين استطعت أن أقف عليهم في المصادر والفهارس القديمة والحديثة ، مرتبا اياهم حسب تواريخ وفياتهم ، ناصا على المظان التي ذكرت كلا منهم ، مشيرا الى ما كان ذكره نتيجة وهم أو خطأ • ثم درست رواية الاضداد : متى بدأت ، وكيف تطورت واتسعت ، ومن هم أوائل الرواة ، وعمّن أخذ الاضداديون ، وما أشبه ذلك مما يتصل بالرّواية ، خاتماً ذلك بتخطيط شجرة للرواية البصرية للاضداد واخرى للرواية الكوفية وثالثة عامة ، توضح ما تكلمت عليه • وجعلت الفصل الثاني الذي يليه خاصا بدراسة كتب الاضداد ،

أدرس في كل منها منهج المؤلف ومصادره وأثر المدرسة اللغوية التي ينتمي اليها وطبيعة المواد التي يبحثها ، وتأثره بمن سبقه وتأثيره في من جاء بعده ، جامعا آراء من لم يصل كتابه في الاضداد ، مكونا منها صورة قريبة من كتابه المفقود نستطيع دراستها وتبين منهجها كما فعلنا ذلك في الكتب الاخرى . ولما كان اعتماد هذه الكتب فيما تورده من الأضداد على الشاهد ، كانالفصل الثالث امتدادا للفصل السابق ، حيث ناقشت فيه هذه الشواهد ـ شعرية وقرآنية ـ وحاكمت ظروفها التي قيلت فيها ، مبينا ما تحتمله من تغير المناسبة واختلاف البيئة والتطور في الاستعمال ودخول التصحيف والوضع ، وما ينشأ عنه الاختلاف في تفسير الآية مقيسة على الشعر . ثم انتقلت الى كلام على المعجمات اللغوية يتصل بالكلام على الشواهد ، من حيث ان هذه المعجمات مصادر تاريخية عن اللغة قبل ان تكون كتبا جامعة لموادها ، يجب الوقوف عندها وتملّي حقائقها الى جانب النصوص الشعرية والنثرية القديمة .

وانهيت الرسالة بخاتمة قدمت فيها خلاصة البحث ونتائجه العامة والخاصة التي توصلت اليها خلاله ، والجديد الذي أضافته هذه الرسالة الى الدراسات اللغوية بشكل عام ودراسات الاضداد بشكل خاص .

★ ★ ★ ★

أما المصادر التي اعتمدتها في هذه الرسالة فهي ـ ما كان منها مطبوعاً أو مخطوطا ـ تنتظم عدة طوائف ، هي :

١ ـ كتب الأضداد ، وهي مادة البحث الأولية ، وقد رجعنا في الهامش الى اسم المؤلف في كل منها ، وذكرنا رقم الصفحة التي عليها المجموع الذي يضم الكتاب ، أو المجلة التي نشر فيها ، توخيا للسهولة في الرجوع اليه .

٢ ـ المؤلفات الاخرى للاضداديين ، سواء منهم من وصل كتابه في

الاضداد ومن لم يصل ، لمعرفة ما اذا كان للاول رأي يخالف ما دونه في كتابه . والوقوف على رأي الثاني في الاضداد في مؤلفاته الاخرى .

٣ ـ كتب القرآن التي تبحث غريبه ومجازه ومعانيه ومشكله وتفسيره وقراءاته .

٤ ـ كتب فقه اللغة والنحو والبلاغة والمعجمات اللغوية .

٥ ـ النوادر والامالي ومعاني الشعر والأمثال .

٦ ـ كتب الطبقات والسير والتراجم والانساب .

٧ ـ دواوين الشعر .

٨ ـ فهارس الألفاظ والكتب والمراجع والمعلمات .

٩ ـ كتب المنطق والوضع والفلسفة .

١٠ـ الدراسات المعاصرة في فقه اللغة وأصواتها وابنيتها ، وبحوث تاريخ الادب ونقده .

١١ـ الاطالس والخرائط الجغرافية .

١٢ـ المجلات .

والرجوع الى الامهات من هذه المصادر لا يخلو من مخاطر ومشكلات ، ذلك أن القدماء كانوا شديدي التعصب لمذاهبهم العلمية والدينية ، يرون أن كل ما يخالف آراءهم ومواقفهم مما يجب أن يهمل ويطرح ، أو يردّ ويناقش على أحسن الفروض ولكن بروح منحازة . ونحن كثيرا ما نضطر الى أن نستقي آراء كثير من الدارسين الذين لم تصل الينا مؤلفاتهم في الاضداد ـ وكان لهم منها موقف خاص ـ من الكتب التي تتوفر بين أيدينا ، وفيها هذا الموقف المغاير والروح المنحازة وهي في معرض الردّ على تلك الآراء ، فما مقدار الامانة في نقل الرأي المخالف ؟

كما ان بقاء كثير من مؤلفات الأضداديين ـ الذين لم تصل مؤلفاتهم ـ